

أضواء البيان

@ 127 ذلك من الآيات . ولو كان معنى الآية وما شابهها : { إِنْ زَنْكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى } ، أي : الذين فارقت أرواحهم أبدانهم لما كان في ذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم ، كما ترى . .

واعلم : أن آية (النمل) هذه ، حاء آيتان أخريان بمعناها : .
الأولى منهما : قوله تعالى في سورة (الروم) : { فَإِنْ زَنْكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِيَ الْعُمْمَى عَنِ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِنِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ } ، ولفظ آية (الروم) هذه ، كلفظ آية (النمل) التي نحن بصددنا ، فيكفي في بيان آية (الروم) ، ما ذكرنا في آية (النمل) . .

والثانية منهما : قوله تعالى في سورة (فاطر) : { إِنْ اللَّامَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ } ، وآية (فاطر) هذه كآية (النمل) و (الروم) المتقدمتين ، لأن المراد بقوله فيها : { مَن فِي الْقُبُورِ } الموتى ، فلا فرق بي قوله : { إِنْ زَنْكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى } ، وبين قوله : { وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ } ؛ لأن المراد بالموتى ومن في القبور واحد ؛ كقوله تعالى : {

وَأَنْزَلَ اللَّامَ يَدْعُهُ مَن فِي الْقُبُورِ } ، أي : يبعث جميع الموتى من قبورهم ومن لم يقبر ، وقد دللت قرائن قرآنية أيضاً على أن معنى آية (فاطر) هذه كمعنى آية (الروم) ، منها قوله تعالى قبلها : { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ أُنثَىٰ لَا يَنْفَعُ إِذَارُكَ إِلَّا مَن هَدَاهُ اللَّهُ وَوَفَّقَهُ فَصَارَ مِمَّن يَخْشَى رَبَّهُ بِالْغَيْبِ وَيَقِيمُ الصَّلَاةَ } ، { وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ } ، أي : الموتى ، أي : الكفار الذين سبق لهم الشقاء ، كما تقدّم . ومنها قوله تعالى أيضاً :

{ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ } ، أي : المؤمن والكافر . وقوله تعالى (بعدها) : { وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ } ، أي : المؤمنون والكفار . ومنها قوله تعالى بعده : { إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ } (52 / 32) ، أي : ليس الإضلال والهدى بيدك ما أنت إلا نذير ، أي : وقد بلاغت . .

التفسير الثاني : هو أن المراد بالموتى الذين ماتوا بالفعل ، ولكن المراد بالسماع المنفي في قوله : { إِنْ زَنْكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى } خصوص السماع المعتاد الذي ينتفع صاحبه به ، وأن هذا مثل ضرب للكفار ، والكفار يسمعون الصوت ، لكن لا يسمعون سماع قبول

بفقهه واتّباع ؛ كما قال تعالى : { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ السَّذَى
يَنْزَعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا سَمْعًا }